إضافات محمد علي عوني العلمية من خلال ترجماته و هوامشه ومقدماته (*)

بقلم : الاستاذ الدكتور جبار قادر

ترجم العلامة المفضال محمد علي عوني أشهر المؤلفات التاريخية الكردية الى اللغة العربية. وجاء إختياره للأثر الخالد لأبي التاريخ الكردي الأمير شرفخان البدليسي (الشرفنامه بجزئيه) ومؤلفات رائد الدراسات التاريخية الكردية الحديثة المؤرخ الوزير محمد أمين زكي (خلاصة تاريخ الكرد و كردستان من أقدم العصور التاريخية حتى الان) و (تاريخ الدول و الامارات الكردية في العهد الاسلامي) موفقا وفق كل المعايير. أذ وضع البدليسي اللبنة الاولى في صرح دراسة تأريخ الكرد و كوردستان، بينما كان زكي أول من دون تاريخ شعبه من منطلق علمي بعيدا عن الاهواء و العصبيات. وما بقاء هذه الاثار دون منازع رغم مرور القرون في حالة الأول، وعقود في حالة الثاني الا دليلا على قولنا هذا. كما انه يشهد على سعة ادراك عوني وتعمقه وبعد نظره.

كان عوني عشية ترجمته لهذه الاثار يخطط لما يمكن ان يعد مشروع العمر، ونقصد بذلك تفكيره المستمر في تأليف كتاب مستقل عن الشعب الكردي وموطنه كوردستان، يضم بين دفتيه وعلى حد تعبيره المعلومات الجغرافية والتاريخية و القومية المختلفة عن هذا الشعب، مدعوما بالأسانيد العلمية و الشروحات الوافية و التدقيق في الروايات التاريخية المختلفة والرد على الأراء والطروحات اللاعلمية. وكان ينوي أن يعنون مشروعه ب(المكتبة الكردية) على غرار (المكتبة الصقلية) و (المكتبة الاندلسية). ولتحقيق حلمه بدأ يبحث في بطون كتب التاريخ و الرحلات والكتب الجغرافية الكلاسيكية والحديثة، ويجمع مدونا كل ماتقع عليها عيونه من معلومات وأخبار تعينه في مهمته العسيرة تلك. وقضى أوقاتا طويلة في دار الكتب المصرية وإقتنى كتب كثيرة من بينها تلك التي صدرت ضمن سلسلة (المكتبة الجغرافية العربية) ناقلا منها كل مايتعلق بالكرد و كوردستان.

لقد أهلته قراءاته الواسعة وإتقانه للغات عديدة (الكردية، الفارسية، التركية و العربية) فضلا عن الفرنسية، ان يكون الشخص المناسب لترجمة الآثار التاريخية الكردية المهمة الى اللغة العربية. وتظهر حواشيه المئة والثلاث عشرة للشرفنامة و التسعون لخلاصة تاريخ الكرد وكردستان إطلاعا موسوعيا في تاريخ الشرق العريق، و نبوغا قل نظيره في الجغرافية التاريخية. كما تختزن مقدماته التي كتبها للشرفنامة ومؤلفي محمد أمين زكي كما كبيرا من المعرفة التاريخية و الجغرافية.

وبينما كان منهمكا في تحقيق مشروع عمره، اذا به يسمع من صديق له بأن كتاب الشرفنامة قد طبع في روسيا قبل ذلك التاريخ بسبعين عاما(1860)، وترجم الى الفرنسية وأصبح منذ ذلك التاريخ متداولا بصورة واسعة بين المستشرقين الغربيين. ورغم أن هذا الأثر هو تاريخ خاص بالأمة الكردية وموطنها التاريخي كوردستان، إلا انه تحول الى دائرة معارف جغرافية وتاريخية مهمة لا يمكن لأي باحث يتصدى لدراسة تاريخ الشرق الأدنى في أواخر العصور الوسطى وبداية العصر الحديث أن يستغني عنه. منذ أن سمع عوني بهذا الخبر، أصبح أمر الحصول على نسخة من الشرفنامة شغله الشاغل، وقد نال مراده عام 1922 حينما كان في زيارة الى مدينة حلب السورية. وعرف من "صديق وطني" بأمر وجود نسخة من الشرفنامة محفوظة في مكتبة المدرسة العثمانية هناك، فهرع الى استعارتها ونسخ محتواها وخاصة القسم الخاص بالكرد وكوردستان تاركا الجزء الثاني او الخاتمة التي خصصها مؤلفها للحديث عن أخبار سلاطين آل عثمان وشاهات إيران.

لقد اتحفنا محمد علي عوني حقا بترجمات رائعة لآثار مهمة في التاريخ الكردي وقام بهذا العمل على اكمل وجه كما لم يقم به أحد غيره، غير اننا حرمنا بالمقابل وبسبب إنشغاله بهذه المهمة الكبيرة من نتاج علمي كان يمكن أن يكون اليوم في عداد الاثار الخالدة في المكتبة الكردية.

جاء محمد علي عوني الى مصر من كوردستان الشمالية، إذ ولد عام 1897 بمدينة سيورك من اعمال ولاية دياربكر بكوردستان الشمالية. وينحدر من اسرة صوفية إشتهرت بالعلم والأفتاء، اذ كان والده مفتيا لمدينة سيورك واشتغل جده الشيخ محمد علي بالتدريس في المدرسة الوحيدة فيها ونعني بها المدرسة الفيضية بعد ان ترك العمل في الجيش العثماني. اكمل محمد علي عوني دراسته الأولية في كوردستان ومن ثم سافر الى مصر لأكمال دراسته في الأزهر، حيث التحق برواق الاكراد. وتشير المصادر الى انه نال الشهادة العالية في زمن قصير بلغت ست سنوات بدلا من اثني عشرة سنة، وهي المدة المقررة عادة لطلاب الأزهر من غير المصريين. وكان والده قد تخرج أيضا من الأزهر.

كان محمد علي عوني ضليعا في اللغتين الفارسية و التركية وشارك البدرخانيون في تأسيس جمعية خويبون القومية. وبسبب مواقفه القومية لم يتمكن من العودة الى تركيا بعد إنهائه لدراسته. ولقد احتضنته العائلات الكردية التي سبقته الى مصر كالعائلة التيمورية و البدرخانية.

وعندما إستقر به الحال في مصر تقدم لمسابقة الديوان الملكي المصري ، حيث كان الملك فؤاد الاول (1917–1936) قد قرر انشاء ديوان لترجمة الوثائق المتعلقة بمصر من اللغتين الفارسية و التركية العثمانية. نجح محمد علي عوني في الأمتحان وعين مترجما ومشرفا على الوثائق العثمانية في الديوان الملكي في عهد الملك فؤاد الأول . وحظي باهتمام خلفه الملك فاروق (1936 – 1952) وشاه ايران محمد رضا البهلوي (1941 – 1979) الذين منحاه وسامين رفيعين. بقي يعمل هناك بهمة و نشاط لحين وفاته في 11 تموز 1952 ودفن في تكية الشيخ المغاوري في جبل المقطم بالقرب من مرقد عمر ابن الفارض.

يروي محمد علي عوني بدايات قصته مع الشرفنامه، إذ يقول (كنت يوما أدقق في كتاب كشف الظنون، أثارت انتباهي الاشارة الى بعض التواريخ مثل مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، وتاريخ شرفخان البدليسي، والروضتين في أخبار الدولتين: النورية والأيوبية وكذلك السيرة الصلاحية وعدد آخر من كتب التاريخ تتحدث عن تلك الأيام في العصور الوسطى والمدونة بالعربية والفارسية).

ومنذ أن وقعت عيناه على النسخة الحلبية من الشرفنامة، أدرك بأن هذا المؤلف هو أحسن ما كتب عن الكرد منذ ظهور الاسلام وحتى عام 1005 هجرية. وعندمارجع من رحلته الى الشام زف خبر الهدية النفيسة التي جلبها معه من هناك الى الشيخ الجليل فرج الله زكي الكردي، وكان الأخير مجدا في طبع الكتب القديمة وطلب محمد علي منه مساعدته في طبع الكتاب. وفاجاه الشيخ بأنه تمكن من الحصول على طبعة روسيا فضلا عن نسخة مخطوطة حصل عليها من الأمير ثريا بدرخان سليل العائلة البدرخانية المشهورة.

من هنا يبدأ عوني والشيخ فرج الله العمل على ثلاث نسخ من الشرفنامة يساعدهما شيخ كردي آخر هو محي الدين صبري الكردي (والد زكريا محي الدين أحد رفاق عبدالناصر المقربين). وكان محي الدين صبري فقيها في اللغة الفارسية القديمة والحديثة. وفي هذا الصدد يقول عوني (بدانا بمقارنة النسخ الثلاث التي بين أيدينا وعندما كنا نجد إضافات في إحدى النسخ كنا نضيفها الى النسخة المطبوعة في روسيا، وقام الشيخ فرج الله فضلا عن طبع الكتاب بتصحيح الاخطاء المطبعية. وقمت انا بصفتي عارفا بالجغرافية التاريخية لتركيا الاسيوية وبخاصة ولاياتها الشرقية بتدقيق وتصحيح الاسماء والمواقع الجغرافية. لقد قضينا عاما كاملا، والكلام مازال لعوني، في تدقيق وتحقيق هذه النسخ، إذ كنا نجتمع في نهاية كل أسبوع في بيت الشيخ فرج الله ويقوم كل واحد منا بعرض ما أنجزه

خلال الاسبوع). وهكذا جعلوا من النسخة المطبوعة في سان بطرسبورغ أساسا للعمل أضافوا اليها كل ما زاد عنها. لقد أضافوا المهم الى المتن بينما أشاروا الى الأقل أهمية في الحواشي و الهوامش.

لقد أعجب محمد علي عوني أيما إعجاب بمقدمة العالم الروسي الناشر للشرفنامة فيلياميتوف – زيرنوف وطالب الكرد بعدم نسيان أفضال هذا العالم الجليل الذي كان له الفضل في تعريف الغرب بهذا الأثر الخالد. وأشار بإعجاب الى المقدمة الفرنسية التي كتبها زيرنوف لطبعة روسيا وقيم عاليا الجهود المخلصة التي بذلها المستشرقون للعثور على مخطوطة شرفنامة ورحلاتهم الى البلدان الشرقية و الغربية المختلفة من أجل ذلك. وطالب المثقفين الكرد أن يولوا هذه المقدمة إهتمامهم ويجعلوا منها نبراسا لهم ونموذجا يقتدون بها على طريق إحياء التراث القومي الكردي. وينتهز عوني المناسبة لكي يوجه النقد الى المثقفين الكرد الذين تركوا لغتهم القومية وتشبثوا بلغات الأمم السائدة التي لا تعترف بعضها على حد تعبيره (حتى بحق الحياة لأبناء الشعب الكردي).

طبع عوني الشرفنامة أولا بالفارسية، ثم ترجمها الى العربية وطبع عام 1958، اي بعد وفاته بست سنوات. كما ترجم لمحمد أمين زكي (خلاصة تاريخ الكرد وكردستان منذ أقدم العصور حتى الان) و (تاريخ الدول والامارات الكردية في العهد الأسلامي). كما تبدو بصماته واضحة في كتاب (القضية الكردية – ماضي الكرد وحاضرهم) لمؤلفه الدكتور بله ج شيركو (الأمير ثريا بدرخان)، الى حد دفع بعدد من المهتمين الى الأعتقاد بأن عوني هو من كتب الكتاب، لكنه بحكم منصبه الرسمي في البلاط الملكي لم ينشره بإسمه، رغم علمنا بأن الأمير ثريا بدرخان كان قد نشره أصلا باللغة الفرنسية.

على أية حال جذبت الترجمة العربية عناية القراء و المهتمين وقلما نجد دراسة رصينة عن الكرد في تركيا لا توجد فيها إشارات الى هذا الكتاب الصغير بحجمه والغني بمعلوماته.

فضلا عن ماذكر أعلاه فقد ترجم محمد علي عوني الجزء الخاص بمصر من المجلد العاشر من كتاب سياحتنامه أوليا جلبي (1611 – 1685). نشرت هذه الترجمة بعد مرور أكثر من نصف قرن على وفاة المترجم، إذ نشر الكتاب في 2003 من قبل مركز تاريخ مصر المعاصر بدار الكتب والوثائق القومية في 660 صفحة. تكرمت كريمة المرحوم الأستاذة درية عوني مشكورة بإهدائي نسخة من هذه الترجمة.

ولمحمد علي عوني دراسات أخرى غير منشورة، منها سيرة الاسرة التيمورية وتاريخ نزوحها من كردستان الى مصر. قام الاستاذ الدكتور عماد عبدالسلام رؤوف بتحقيقها والتقديم لها ونشرها تحت عنوان " الرسالة العونية في انساب الاسرة التيمورية" في العدد 17 من مجلة الاكاديمية الكردية عام 2011.

تتضمن مقدمة محمد علي عوني للشرفنامه افكارا كثيرة جديرة بالأهتمام. ففي بداية تقديمه للكتاب يقول (أن من يحكم ضميره ويدقق في ماضي الشعب الكردي يدرك جيدا بأن هذا الشعب كان دائما قبل الاسلام و بعده صاحب تاريخ ملئ بالفخر والاخلاق الحميدة والشجاعة ولعب دورا مهما في إرساء دعائم الأسلام وإعلاء شأن الثقافة العربية مشاركا في كل العصور والحقب التاريخية. وعندما تبحث في أي مجال من مجالات العلوم والمعارف الاسلامية تجد المساهمات الكردية المميزة). وفي هذا الباب يوجه عوني النقد واللوم الى كتاب ومؤرخي الشرق و خاصة في الفترات الاخيرة عندما أخذتهم الاهواء القومية وبدؤا يتغنون بأقوامهم فقط تاركين أخوتهم في الدين (الكرد) دون ان يدافعوا عنهم. بينما إستمر الشعراء والكتاب الكرد يكتبون الأشعار ويدبجون المقالات بالفارسية، العربية، التركية، الفرنسية و الانجليزية ولا يفكرون بلغتهم القومية وبتاريخ شعبهم وتراثه.

تلك الظاهرة التي نبه اليها محمد علي عوني في ذلك التاريخ المبكر تحولت الى آفة في عصرنا الراهن، إذ لا يتقن اكثر من نصف ابناء الأمة الكردية لغته القومية، ولا يعرف الا العدد القليل من ابنائها الكثير عن تاريخها وتراثها ودورها الحضاري. ويشير عوني الى أن الكرد من سكان المدن يتحدثون ويكتبون بلغات الأمم السائدة، بينما تحولت اللغة الكردية الى لغة هامشية سائدة في القرى و الأحياء الفقيرة في المدن وبين القبائل الرحل، الأمر الذي حدى بالكثير من الرحالة و المستشرقين الى الأعتقاد بأن الكرد يعيشون فقط في الأرياف أو لازالوا رحلا يجوبون جبال كردستان و وديانها. حالة إهمال اللغة الكردية من لدن الكرد الحضريين والمتعلمين دفعته الى البحث عن جذورها، إذ يقول في هذا الباب (عندما كنت أشاهد هذه الحالة كنت أتحرق شوقا لمعرفة ماضي الكرد وجغرافية كوردستان، وبدأت افتش في خزائن الكتب القديمة في القاهرة و الأستانة كي أعثر على المخطوطات التي تتحدث عن الكرد لكي انفض عنها الغبار واكشف عن ما تتضمن من أخبار عنهم).

وهدف محمد علي عوني من وراء ترجمته للشرفنامة الى تعريف القارئ العربي وأصدقاء الكرد من العرب بدور هذا الشعب في تاريخ المنطقة، وقبل أن يبدأ هو الترجمة وجه النداء الى المثقفين الكرد

والنادي الكردي في بغداد (المقصود نادي الارتقاء الكردي – يانەی سەرکەوتن) للقيام بترجمة الكتاب بأنفسهم أو مد يد المساعدة كي يقوم هو ورفاقه بالمهمة. ولم يتردد في عرض خدماته هو وزميليه على النادي الكردي في التحقيق وتدقيق المواقع الجغرافية والاحداث التاريخية، خاصة وقد تراكمت لديهم خبرة واسعة في هذا الباب.

ويتأسف في مقدمته لأنهم لم يتمكنوا أن يضيفوا الى ترجمتهم قائمة بأسماء وعناوين 173 كتابا عن الكرد وكوردستان أعطاهم اياها الأمير ثريا بدرخان، كانت ستشكل برايي أول بيبليوغرافيا عن الكرد و كوردستان باللغة العربية. وكان محققوا شرفنامه قد نظموها في قائمتين، ولم ينسى أن يقدم شكره للأمير ثريا بدرخان الذي يبدوا انه ساعدهم في صيف عام 1926.

ولم يكتف محمد علي عوني بهذه المقدمة فقط، بل قدم للكتاب بدراسة عن أحداث الاراء حول الكرد وكوردستان و وظف معلوماته الواسعة في الجغرافية التاريخية لرسم حدود كوردستان جغرافيا و قوميا.

حدد عوني في مقدمته هذه الملامح الاساسية للسياسات التركية الظالمة بحق الشعب الكردي وأشار الى قيام الحكومة التركية في تلك الفترة المبكرة من عمرها بإزالة اسم كوردستان من كتب الجغرافيا والدواوين الحكومية، رغم أنها كانت ايالة واسعة في العهد العثماني ومؤشرة بصورة واضحة على الخرائط الجغرافية الرسمية. ولم ينسى أن يؤكد هنا بأنه لا أيالة كوردستان العثمانية ولا أوستان كردستان الأيرانية تتطابقان مع الحدود الحقيقية لكوردستان، بل تشكلان جزءا صغيرا من مواطن الكرد التاريخية.

كما يشير في ذلك الوقت المبكر من تأريخ الدول القومية الحديثة التي نشأت على أنقاض الدولة العثمانية الى عمليات التلاعب بالجغرافيا الكردية والسياسات التي كانت تهدف الى خلخلة الاوضاع الديموغرافية في كردستان.

يحدد عوني أسباب صعوبة رسم حدود كوردستان الجغرافية من خلال عمليات التعريب و التفريس والتتريك التي أدت الى إسكان أعداد كبيرة من أبناء هذه الامم لأسكانها في كوردستان بهدف تغيير التركيبة الأثنية فيها لصالح تلك القوميات. ونتيجة لتلك السياسات تشتت أعداد كبيرة من الكرد بدورهم في البلدان المجاورة مرحلين قسرا، أو هاربين من قمع الأنظمة المتسلطة، التي تلاعبت

بالجغرافيا الكردية بطريقة غير انسانية وازالت الاثار الكردية الشاخصة. ويحمل عوني الكتاب و المثقفين الكرد جزءا من المسؤولية عن حالة إنصهار نسبة من الكرد في بودقة الأمم السائدة بسبب تركهم للغتهم القومية وعدم الاهتمام بآثار شعبهم الثقافية والأدبية والتاريخية.

ويحاول محمد على عوني من خلال معارفه الجغرافية و التاريخية الواسعة رسم حدود كوردستان القومية، إذ يحددها من الشمال بجبال آرارات التي تشكل فاصلا جغرافيا بين إيران و روسيا وتركيا وحدودا وطنية وعرقية للكرد والفرس والأرمن. اما من الجنوب فيحددها بجبال حمرين الفاصلة بين ولاية بغداد وكوردستان أو ولاية الموصل السابقة. وتبدأ حدودها الشرقية من لورستان اما الغربية منها فتصل الى ملاطية. وهكذا يعتبر عوني كل الولايات الشرقية في تركيا بإستثناء ولاية طرابزون وقسم من أرضروم كردستانية. كما أن الأقسام الجنوبية من مقاطعة تبريز وأوستانات كوردستان ولورستان في إيران تدخل ضمن الحدود الكردية. ويعتبر الاكثرية الساحقة من سكان المدن و الجبال والرحل داخل تلك الحدود من حيث اللغة والتقاليد القومية والأثنية كردا. بينما اللغات التي تسمع في المدن الكبرى هي لغات فرضت من قبل الدول المعنية. ويجمل الدول التي تحد كوردستان بالصورة التالية:

من الشمال جمهورية ارمينيا، ومن الشرق أذربايجان إيران والعراق العجمي وفارس، ومن الجنوب خوزستان الأيرانية والعراق العربي وبادية الشام، أما من الغرب فنهر الفرات وبعض ولايات الأناضول الشرقية.

فضلا عن كل ذلك يضع محمد علي عوني معلومات قيمة عن طبيعة كوردستان ومناخها بين أيدي القراء. كما يحدد مواقع التجمعات البشرية الكردية خارج كوردستان، مثل شمال سوريا التاريخية أي بين حلب و الاسكندرونة و الى الشرق من حلب أيضا. كما يشير الى التجمعات الكردية التي تنتشر في قونية وسيواس وجروم وادنة، ولاينسى الاشارة الى كرد القفقاز والذي يقدر عددهم بربع مليون نسمة وكرد خراسان بل وحتى الكرد في افغانستان وبلوجستان.

ويمكن أن نعد محمد علي عوني أحد أدق من تصدى للتدقيق في الأحصائيات و التخمينات المنشورة بصدد العدد الكلي للكرد. ولا ينسى الأشارة في هذا الباب الى التخبط الوارد في هذا المجال مشخصا العلة الحقيقية في ذلك، لأن الدول المسيطرة على كوردستان لم تقدم أبدا إحصائيات حقيقية بعيدة

عن التزييف عن سكانها الكرد، وفي حالات الاشارة اليهم حاولت تلك الدول أن تقدم أقل الأرقام. ويشير عوني في هذا الباب الى ما أورده شمس الدين سامي صاحب (قاموس الأعلام) الذي خمن عدد الكرد في نهاية القرن التاسع عشر بمليونين ونصف المليون نسمة. في حين أشارت دائرة المعارف الأسلامية الى عدد الكرد قبل الحرب العالمية الأولى بثلاثة ملايين. ويعتبر عوني هذه الارقام بعيدة عن الواقع. وحتى الرحالة الأوروبيين الذين زاروا كوردستان أخدعتهم ظاهرة إنتشار اللغات السائدة في المدن و البقاع الكردية، فذكروا أرقاما عن الكرد لا تعبر عن حقيقة الوضع الديموغرافي على الارض، فقد إعتقدوا أن سكان القرى والقبائل الرحل في كوردستان هم من أرومة الكرد فقط، في حين إعتبروا سكان المدن من ابناء الأمم السائدة. ومن هنا كان الرأي السائد لدى أغلب المستشرقين الذين اذا ماذكروا الكرد ذكروا القبائل والرحل، لذلك قاموا بتقليل عدد الكرد وتقليص حدود كوردستان. ولكن ما يقولونه لا تتسق مع حقاق التاريخ و الجغرافيا والعلم على حد تعبير محمد علي عوني .

ويعتقد محمد على عوني بأنه من خلال التدقيق ودراسة الوقائع الديموغرافية والمصادر التاريخية والجغرافية ومن خلال الاطلاع على الواقع الكوردستاني، فإن العدد الكلي لسكان كوردستان وقت كتابته لمقدمته، وصل الى ثمانية ملايين، إعتبر مليونا منهم من الغرباء ، بينما إعتبر السبعة ملايين الباقية كردا والذي إعتبره رقما مقبولا وفق جميع المعايير. وقد قسمهم على الوجه التالي : مليون ونصف في ايران، ربع مليون في روسيا(يقصد بها جمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق)، نصف مليون في العراق، ربع مليون في سوريا واربع ملايين ونصف في تركيا. عند التدقيق في هذه الارقام يمكن ملاحظة أن محمد على عوني قد ذكر أقل الارقام المتوفرة انذاك فيما يتعلق بكرد ايران و العراق و سوريا، في حين يمكن ان نعتبر الرقم الذي خص به الكرد في تركيا، وهو القادم أصلا من تلك الربوع الى مصر، قريبا من الواقع.

خصص محمد على عوني صفحات من مقدمته للحديث عن أصل الكرد ولغتهم، مشيرا الى الاراء المختلفة في هذا الباب ومستندا الى مصادر أصيلة من قبيل (عودة العشرة الاف) لكزينفون في عام 401 ق. م. ويحدد عوني مسار حملة كزينفون عبر بلاد الكرد بين جبال رواندوز الى درسيم وارزنجان، والتي سماها المقاتلون اليونان ببلاد الكاردوخيين. وهنا يؤكد عوني أن الشعب الكردي يسكن سهول وجبال بلاده كوردستان منذ ثلاثة الاف عام على الاقل. كما يشير الى سكان كوردستان القدماء مثل الگوتيين الذين ساهموا مع عناصر أخرى من سكان كوردستان القدماء في تشكيل الأمة الكردية فيما

بعد. ويتحدث بخاصة عن علاقتهم المتينة واختلاطهم بالميديين فيما بعد. كما يذكر محمد على عوني معلومات دقيقة عن اللغة الكردية ولهجاتها المختلفة ويصل الى الراي القائل بإنتماء الكرد الى العالم الأيراني القديم ويعتبر ذلك مدعاة للفخر بهذا الدور الحضاري العريق.

ولم يكتب عوني مقدمته إعتمادا على ماتختزنها ذاكرته من معلومات تاريخية وجغرافية، بل رجع الى العديد من المصادر و المراجع التاريخية، التي أشار اليها في مقدمته مثل: مسالك الأبصار، التعريف بالمصطلح الشريف، صبح الأعشى، معجم البلدان، مراصد الاطلاع، قاموس الأعلام، دائرة المعارف البريطانية، دائرة المعارف الاسلامية، ومؤلفات أخرى كثيرة في التاريخين التركي والايراني وجغرافية بلدان الشرق الادنى فضلا عن المذكرات الشخصية وتدقيقاته وجولاته في العديد من ربوع بلاده.

من أفضال محمد على عوني هو انه وضح في هوامشه المائة وثلاثة عشر لكتاب الشرفنامة، التي تختزن العديد من المواقع الجغرافية التي أصابتها التغييرات على أيدي السلطات الجائرة ولم يعد بإمكان الكثيرين ان يتعرفوا عليها، وهو الضليع في الجغرافية التاريخية.

كما كتب عوني تسعون هامشا لترجمة كتاب محمد أمين زكي ((خلاصة تاريخ الكرد وكوردستان من أقدم العصور التاريخية حتى الان)). وركز في هوامشه هذه على تحديد وتوضيح العديد من المواقع الجغرافية والتدقيق في أسماء الاعلام التاريخية التي وردت في ثنايا الكتاب فضلا عن توضيح الكثير من الأحداث التاريخية مستندا في كل ذلك على أمهات المصادر الأولية. وتشكل هذه كلها مجهودا علميا كبيرا، فالرجل لم يكن مجرد مترجم للنصوص دون التدخل فيها، بل يمكن القول بأنه أبدع في هذه الترجمة وجعل من الكتاب مصدرا علميا رصينا لا يمكن اهماله عند التصدي لدراسة التاريخ الكردي. وكانت إضافات محمد علي عوني كبيرة وأعطت قيمة علمية خاصة على ترجمة الكتاب واضافت 146 صفحة الى صفحات طبعته الكردية الأصلية.

تلقف المثقفون و المعنيون منهم بالتاريخ على وجه الخصوص الترجمة العربية للكتاب، الامر الذي شجعه اكثر على الاسراع في ترجمة الجزء الثاني من الكتاب نفسه الذي نشره سنة 1945 في القاهرة ايضا بعنوان (تاريخ الدول و الأمارات الكردية في العهد الأسلامي).

بتواضع العلماء الحقيقيين فرح بكتاب محمد امين زكي اذ يروي في مقدمته حكايته مع مؤلف محمد امين زكي بقوله (فكان سروري عظيما لا مزيد عليه ولدى الفراغ من مطالعته مرات، مطالعة درس و

فهم، اعجبت به إعجابا كبيرا، إذ وجدت فيه ضالتي المنشودة وغايتي المقصودة فضلا عن انه يشتمل على نواحي قمينة بالعناية البالغة، من تاريخ الكرد و كوردستان فيما قبل الاسلام، بل فيما قبل الميلاد بثلاثين قرنا، وكلها مقتبسة من مصادر غربية لا يتسنى لمثلي ان يستقي منها شيئا و لابعد حين).

من هنا يقرر العدول عن فكرته السابقة و ينصرف الى دراسة لغة الكتاب، أي اللغة الكردية السائدة في جنوب كوردستان. وقيم عاليا العنوان الذي إختاره محمد أمين زكي لكتابه (خلاصة تأريخ الكرد و كوردستان من أقدم العصور حتى الان). وإعتبره كتابا قيما فريدا في بابه، صحيحا في أسانيده، غنيا بمصادره، لا يستغني عنه الكاتب الاجتماعي و الرجل السياسي و الكاتب المحقق. وقرر ترجمته ليعم نفعه و لتطلع عليها الاوساط العلمية في الشرق و الغرب لأنه وعلى حد تعبيره (أول كتاب علمي ينقل من اللغة الكردية الحديثة الى اللسان العربي المبين). لقد ساعدته نقوله و نصوصه التي دون مذكرات بها في مهمته أيما مساعدة و أسعفته في ضبط الأعلام التاريخية و الجغرافية حسب رسمها في المصادر العربية و الاسلامية القديمتين، وارشدته الى صحة عبارة الاصل من النقول العديدة و الروايات المختلفة التي ملأت جوانب الكتاب. كما أن إتصالاته و رسائله التي تبادلها مع المؤلف طيلة أيام الترجمة، التي إستغرقت ثلاث سنوات، ساعدته على إستجلاء الغوامض و مراجعة النقول و مقارنة النصوص و كتابة الحواشي و التعليقات.

تشكل تجربة محمد علي في ترجمة الكتاب مدرسة يجب الاقتداء بها عند ترجمة النتاجات التاريخية المهمة. فقد قرأ كلا من الطبري وابن الأثير من أولهما لآخرهما لضبط الحوادث و سني وقوعها والتحقق من صحة النقل و إستدراك ما قد يكون فات المؤلف من تبيان رقم الصحيفة و الجزء و سنة الحادثة ومن تفصيل ما قد يكون المؤلف اوجزه من الحوادث والأخبار أحيانا.

ويشير في مقدمته الى طريقة ضبطه للأسماء و المواقع الجغرافية واللجوء الى الحروف الكردية لضبط أسماء المدن و القصبات و الجبال الكردية، كما حدد تلك المواقع مع اسمائها الحالية سواء في متن الكتاب أو الحواشي و التعليقات و غير ذلك الكثير.

وقام محمد علي عوني بترجمة الجزء الثاني من نفس الكتاب أي (تاريخ الدول والأمارات الكردية في العهد الأسلامي) بنفس الطريقة وبعد أن تراكمت لديه خبرة واسعة في هذا المجال.

تتضمن ترجمات محمد علي للشرفنامة و مؤلفات محمد أمين زكي أفكارا جديرة بالتوقف عندها. فقد هدف من ترجماته تعريف الراي العام العربي و الأسلامي بتاريخ الشعب الكردي، إذ يقول بهذا الصدد (الأخاء الاسلامي يحتم التعارف بين شعوب الأسلام، تسهيلا للقيام بالواجب المشترك، وتحقيقا للمثل الأعلى في الحياة الأنسانية، ولا تعارف من غير تعريف. وخير ما يعرف الشعوب بعضها ببعض، تدوين كتب خاصة عن تاريخ كل شعب تحتوي ماخفي على الأنظار من انبائهم و اطوارهم، بعد دراسة شاملة كاملة. إذ بذلك يطلع كل شعب على أحوال الشعوب الأخرى من إخوانه في الدين والأنسانية، فيتعاونون على إحراز قصب السبق في مضمار الرقي البشري بالطريقة التي جرت عليها سنة الله في الكون و يعلون شأن الأسلام وشأن شعوبه).

كما لا ينسى الاشارة الى حالة التعالي القومي التي تعاني منها شعوب الشرق ، إذ يقول بهذا الصدد (وأما من راى رقي شعبه في تأخر الشعوب الأخرى، فقد غمرته الأوهام وجهل أن البيت بأفراده، و المدينة بأسرها، والأسلام بشعوبه. واين للأسلام ان ينهض من دون أن تنهض شعوبه).

كما ينتقد حالة القصور في المكتبة العربية فيما يتعلق بالشعب الكردي، رغم خدماته الجليلة، إذ يقول (وفي المكتبة العربية نقص كبير من ناحية التدوين في تواريخ الشعوب الأسلامية، ولاسيما الشعب الكردي، مع ماله من الخدمات الجلى في إعلاء شأن الأسلام في ساحات السياسة و القيادة والتأليف في شتى العلوم طوال القرون الأسلامية، خلا ماله من مآثر قومية ومفاخر تأريخية تخص بني قومه. والنقص من ناحية تدوين ذلك كان ملموسا بصورة توجب الأسى الى المدة الأخيرة). ويشير الى معاناته الشخصية في هذا الباب عندمابدأ بكتابة مقدمة علمية لكتاب الشرفنامة خلال عامي 1929-1930 لكي يضمنها أحدث الآراء و البحوث في أصل الشعب الكرد وحدود بلاده القومية. وهاله الأمر حين لم يهتدي الى كتاب مستقل عن الكرد وبلادهم لا في المكتبة العربية الحديثة ولا في القديمةعلى الرغم من البحث و التنقيب المضني في دور الكتب العامة في الشرق و الغرب وسؤال أهل العلم والمعرفة بالمصادر. ولا ينسى أن يشير الى أن هذه الحالة لم تكن تقتصر على المكتبة العربية بل إن المكتبتين التركية و الفارسية، وهي اللغات الرئيسية التي دونت بها تراث المنطقة كانتا تعانيان من نفس الحال. لذا كان مجبرا وكما يقول أن يكتفي (ببعض ما ورد من المعلومات المبعثرة في ثنايا المطولات من كتب التراجم والتأريخ العام و الجغرافيا التأريخية وغيرها من كتب الرحلات و السير).

لم يعاني محمد علي عوني من عقدة الهوية المزدوجة، ففي مصر التي آوته وقضى فيها حياته وخدم شعبها، لم ينسى شعبه المظلوم المكتوي بنار القمع والأضطهاد. رحم الله محمد علي عوني، الأسم الذي سيبقى خالدا في سجل التاريخ الكردي .

الهوامش والمصادر :

(*) قدمت هذه المداخلة في مهرجان تكريم المؤرخ الكردي محمد علي عوني في اربيل في خريف 2007.

1. شرفنامه الفه بالفارسية شرف خان البدليسي ، ترجمه الى العربية محمد علي عوني، راجعه و قدم له يحى الخشاب ، الجزء الأول ، القاهرة 1958 ، الجزء الثاني 1962 .
2. محمد امين زكي ،خلاصة تاريخ الكرد و كردستان ، ترجمه محمد علي عوني ، القاهرة 1939.
3. محمد امين زكي ، تاريخ الدول و الامارات الكردية في العصر الاسلامي، ترجمة محمد علي عوني، القاهرة 1945.
4. محمد علي عوني ،الرسالة العونية في انساب العائلة التيمورية ، تحقيق وإعداد وتقديم الأستاذ الدكتور عماد عبدالسلام ، مجلة الأكاديمية الكردية ، العدد 17، اربيل 2011.
5. اوليا جلبي ، سياحتنامه مصر ، ترجمة محمد علي عوني ، تحقيق د. عبدالوهاب عزام و د.احمد السعيد سليمان، ج 10 ، القاهرة 2009 .
6. درية عوني وآخرون ، الأكراد في مصر عبر العصور ، ط1 ، القاهرة 2011
7. د. محمد علي الصويركي الكردي، الموسوعة الكبرى لمشاهير الكرد عبر التاريخ ، المجلد الرابع، ط1 ، الدار العربية للموسوعات، بيروت 2008.
8. د. كەمال مەزهەر ئەحمەد، مێژوو – كورتە باسێكى مێژوو و كورد و مێژوو ، بەغدا 1983.